الحركة والمعنى في القرآن الكريم

الدكتور

سليم حسين طالب الجنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1] ، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾[2] ، ﴿**قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[3] ، الحمد لله ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[4] ، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾[5] ، والصّلاة والسّلام على النبي المصطفى الذي أوتى جوامع الكلم ، وأفصح من نطق بالضاد ، المبعوث معلماً ورحمة للعباد ، والهادي إلى الرشاد والمبين لمعاني الكتاب العزيز ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[6] ، ثم الرضوان على آله وأصحابه أهل البلاغة والفصاحة والبيان ، الذين اتبعوا النبي الأمي ﷺ بإحسان ، ففازوا برضوانه تعالى، وبالجنان .

أمَّا بعد ، فقد كانت خطوتي البحثية السابقة على هذا الطريق المبارك طريق الإيمان نحو تفسير القرآن ، بحثي (خطوة نحو التفسير اللغوي المتكامل)[7] ، الذي سبقته خطوات على طريق السَّلامة اللغويّة من هذه الخطوات مقالاتي المنشورة في جريدة العراق في صفحة دين وتراث بإشراف الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان ، مقالاتي هذه تحت عنوان (لكي نتدبر القرآن) ، وموضوعها في السّلامة اللغوية في ضوء لغة القرآن الكريم وأسلوبه الذي لا يرقى إليه أسلوب ومن خطواتي السابقة على هذا الطريق كذلك بحثي الموسوم بـ(الشواهد القرآنية في السلامة اللغوية) ، الذي ينشر

---

(١) سورة الفاتحة الآية: (٢).

(٢) سورة الكهف الآية: (١).

(٣) سورة الزمر من الآية: (١٢).

(٤) سورة العلق الآيتان: (٤ ــ ٥).

(٥) سورة النمل من الاية: (٥٩).

(٦) سورة الشعراء الآية: (١٩٥).

(٧) نشر هذا البحث في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، التي تصدر من ديوان الوقف السني في العدد الثالث (١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٦م)، ص٧٩ ــ ١٢٦.

في حلقات في مجلة الرسالة الإسلامية التي يصدرها ديوان الوقف السني في بغداد عِلاوة على محاضراتي في كلية الإمام الأعظم وكلية العلوم الإسلامية وفي الدورات التطويرية للأئمة والخطباء ، ودورات السَّلامة اللغوية لموظفي الأوقاف وموظفاتها ولموظفي الوزارات الأخرى وموظفاتها التي كانت تعقد باستمرار في ديوان الأوقاف ، وكانت محاضراتي كلها في خدمة القرآن الكريم في لغته وعلومه وتفسيره ، وأَحكام تلاوته ، لعلي أحظى بالخيرية التي جاءت في الحديث النبوي الشريف ((**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**))[1] ، وعساني أن أكون قد بلغت من القرآن الكريم ولو آية كما قال رسول الله ﷺ : ((**بلّغوا عني ولو آية**))[2] .

وموضوع بحثي هذا (الحركة والمعنى في القرآن الكريم) له شأن عظيم لصلته الوثيقة بفهم الكتاب العزيز وتدبر آياته ومعاني المفردة والتركيب فيه، ولهذا الشأن العظيم لموضوع البحث ولا أقول لبحثي هذا خطوت هذه الخطوة التي أرجو أن يباركها الله تعالى على طريق الإيمان نحو تفسير القرآن .

إِنَّ تفسير القرآن الكريم عامة وتفسيره لغوياً خاصة طريق طويل لم يبلغ أحد من قبل منتهاه ، ولن أبلغه أنا ولا أحد غيري في مقبل الزمان في كل مكان وكلّ آن .

ويبقى الباحث في الكتاب العزيز ، ما بقي من عمره يردد قوله تعالى : ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾[3] ويمضي العمر ويبقى فيه قوله تعالى : ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ**

---

(١) الحديث عن عثمان وعلي رضي الله عنهما ، البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٣٤٣٤) ، والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، للإمام الحافظ رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصّاغاني (٥٧٧ ــ ٦٥٠هـ) اعتنى به وعلق عليه أشرف بن عبدالمقصود ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١/ ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م ، ص٣٣٣ رقم (١١٨٧) .

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧٧/٣ ، ابن حبان ١٤٩/١٤ ، الترمذي ٤٠/٥ ، الدارمي ١٤٧/١ ، وعبدالرزاق في المصنف ١٠٩/٦ ، أحمد ١٠٩/٢.

(٣) سورة طه من الآية: (١١٤).

ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] ويفنى العمر كله ، ويأتي هذا ، وذاك ويبقى قوله تعالى : ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[٢] .

وتبقى موضوعات القرآن الكريم لا حصر لها ولا حدود ولن تنفد كما هي كلماته ، وهذا مصداق لقول الرسول الكريم محمد ﷺ في القرآن الكريم : ((**لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرَّد**))[٣] .

ويبقى هذا الطريق (طريق الإيمان نحو تفسير القرآن) زاهياً مشرقاً بهياً يتباهى به وبمعالمه المضيئة وبمحطاته الجميلة التي لا حصر لها سالكوه على الرغم من عدم بلوغ منتهاه ، ويكفي الباحث في الكتاب العزيز فخراً أن يقف عند محطة من هذه المحطات في رحلته الممتعة ويفسر من القرآن الكريم ولو آية تبقى نجمة مضيئة في سماء حياته وأجمل ذكرى بعد وفاته .

((فلو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم ، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته ، كما أن ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله على قلبه ، وكلام الله غير مخلوق ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثه مخلوقه))[٤] إذن لا حول لنا ولا قوة إلاّ أن نقول كما قال الملائكة : ﴿**قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[٥] .

إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم وبها نزل ، قال تعالى : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٦] ، وإنّ للحركة في فهم اللغة عامة ولغة القرآن الكريم خاصة أثراً بالغاً وبارزاً ، لا سيما في تفسير آياته وفهمها ؛ لأنَّ الحركة

---

(١) سورة يوسف من الآية: (٧٦).

(٢) سورة الإسراء من الآية: (٨٥).

(٣) الحديث في كنز العمال ٤٦٨/١ ، رواه ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر ، وابن الأنباري في كتاب المصاحف ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن مسعود.

(٤) نظرات لغوية في القرآن الكريم ، د. صالح بن حسين العابد ، مركز الدراسات والإعلام ، دار اشبيليا ، ط١ /١٤١٧هـ ـ ١٩٧٧م ، ص (٥ ـ٦) .

(٥) سورة البقرة الآية: (٣٢).

(٦) سورة يوسف الآية: (٢).

ذات صلة وثيقة بالمعنى ؛ فهي تغيره في بنية الكلمة الواحدة بتغيرها في أحرف بنائها أو إعرابها ، أي في أَول حرف من الكلمة أَو الثاني منها أَو آخرها وهي تغير المعنى في المفردة والتركيب ، في حروف المباني أو حروف المعاني ، في الأسماء والأفعال وقد يكون للكلمة الواحدة ثلاثة معان باختلاف حركة الحرف الأول فيها أَو الثاني وهو ما يسمى بالمثلثات نحو : جَنَّة ، جُنَّة ، جِنّة[1] ونحو قدَم ، قدِم ، قَدُم وفي حركة الإعراب نحو ما أحسنَ زيدٌ ، وما أحسنَ زيداً وما أحسنُ زيدٍ ، وسيأتي تفصيل ذلك في مواطنه من البحث .

وإن عدداً ليس بالقليل من الباحثين ، والأَساتيذ ، والأئمة والخطباء والمحاضرين وطلبة العلم ، وطلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) من هؤلاء من لا تلفت الحركة انتباههم ولا يلقون لها بالاً ، فهم يحركون على غير هدى كما هو حالهم في رسم الهمزة ، فيفتحون ما يجب ضمه أو يضمون ما يجب فتحه ، ويكسرون المضموم فيخرج أحدهم من المعنى الحقيقي المراد إلى معنى جديد قد يؤدي إلى ان يحل الحرام أو إلى الكفر كما في حركة (ولا تَنكحوا) و (ولا تُنكحوا) في الآية (٢٢١) من سورة البقرة ، وفي حركة (ورسوله) في الآية (٣) من سورة التوبة وسيأتي بيان ذلك في موضعه من البحث.

وعلى مبلغ علمي ما وجدت كتاباً يجمع ما تفرق من شذرات هذا الموضوع أو بحثاً جمعها ، وعلاوة على ما تقدم ، ولإهمال كثير من الكتاب والباحثين الحركة ، لاسيِّما في بحوث الماجستير والدكتوراه ، وبحوث الترقية ، وما ينشر في المجلات العلمية المحكمة وغيرها ، وقد كنت ذا تجربة في ذلك لعملي في الخبرة اللغوية وكوني أحد أعضاء لجنة السلامة اللغوية في

---

(١) ينظر شرح الفصيح في اللغة ، لأَبي منصور ابن الجبّان (ت ٤١٦هـ) دراسة وتحقيق د. عبدالجبار جعفر القزاز ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط١ /١٩٩١ ، ص٢٣٢ ، والكتاب فيه الكثير من أثر الحركة في معاني المفردات يمكن الرجوع إليه لمستزيد.

الكلية ، إذّ اطلعت على كثير من الأمثلة الخالية من الحركات ، أَو الحركات فيها على غير وضعها الصحيح في مدة ربت على سبع عشرة سنة.

بما تقدم تبدو أهمية الكتابة في هذا الموضوع واضحة ، فتوكلت على من علم بالقلم سبحانه وتعالى وشرعت في بحثي هذا ، وبفضله سبحانه عليَّ أكملته على هذا النحو فله الحمد في الآخرة والأولى .

أمّا منهجي في البحث فيستند إلى جذور قديمة من حيث الاطلاع ، والقراءة الكثيرة والممارسة ، والعمل في السلامة اللغوية في زمن طويل ، فبدأت بجمع ماله صلة ببحثي هذا (الحركة والمعنى في القرآن الكريم) من الكتب ذات العلاقة من لغة ، ونحو ، وتفسير ، واستقريت أَنواع الحركات واستقيتها من مظانّها الأصلية ، وتقصيت أثر الحركة في المعنى في فهم النص القرآني ، وتحريتُ الرشد في ما يعتمد في المفردة والتركيب وفي القراءات القرآنية ، وأثر ذلك في تفسير القرآن الكريم وفهم لغته.

وقد جعلت ما أضفته على النصوص المنقولة بين قوسين معكوفتين هكذا [ ].

وأمّا خطة البحث فجاءت في ضوء ما تقدم على النحو الآتي:

المقدمة التي ما زال القلم مستمراً في سطورها على هذه الأوراق ، وقد تضمنت أهمية الموضوع وهذه الخطوات على طريق التفسير اللغوي ، وبينت في ضوء هذه الأهمية دواعي البحث ، وأهم المصادر التي اعتمدتها نحو كتب اللغة والنحو ، والمعجمات والتفسير ، والقراءات ، والسلامة اللغوية.

بعد هذه المقدمة وزعت موضوعات البحث بين عدة مباحث تفرع منها عدد من المطالب وفي المطالب مسائل يقتضيها البحث ، فجاء توزيع البحث بين موضوعاته على النحو الآتي :

المبحث الأول :ـ معاني الحركة وأنواعها ، في مطلبين:

المطلب الأول :ـ معاني الحركة.

المطلب الثاني :ـ أنواع الحركة.